

كشف فرية الطاعنين في دين الإسلام بقولهم: (إنه دين التخلّف والرّجعية ، وإن العلوم الحديثة تتعارض مع الإسلام، وإن أوربا لم تتقدم في العلوم الحديثة إلا باتجاهها إلى الإلحاد والعلمانية) ونسف هذا البهتان والردّ عليه من وجوه كثيرة



جمع وإعداد
مهدي بن ناصر الجونة



العلوم الحديثة
تدعو إلى الإيمان

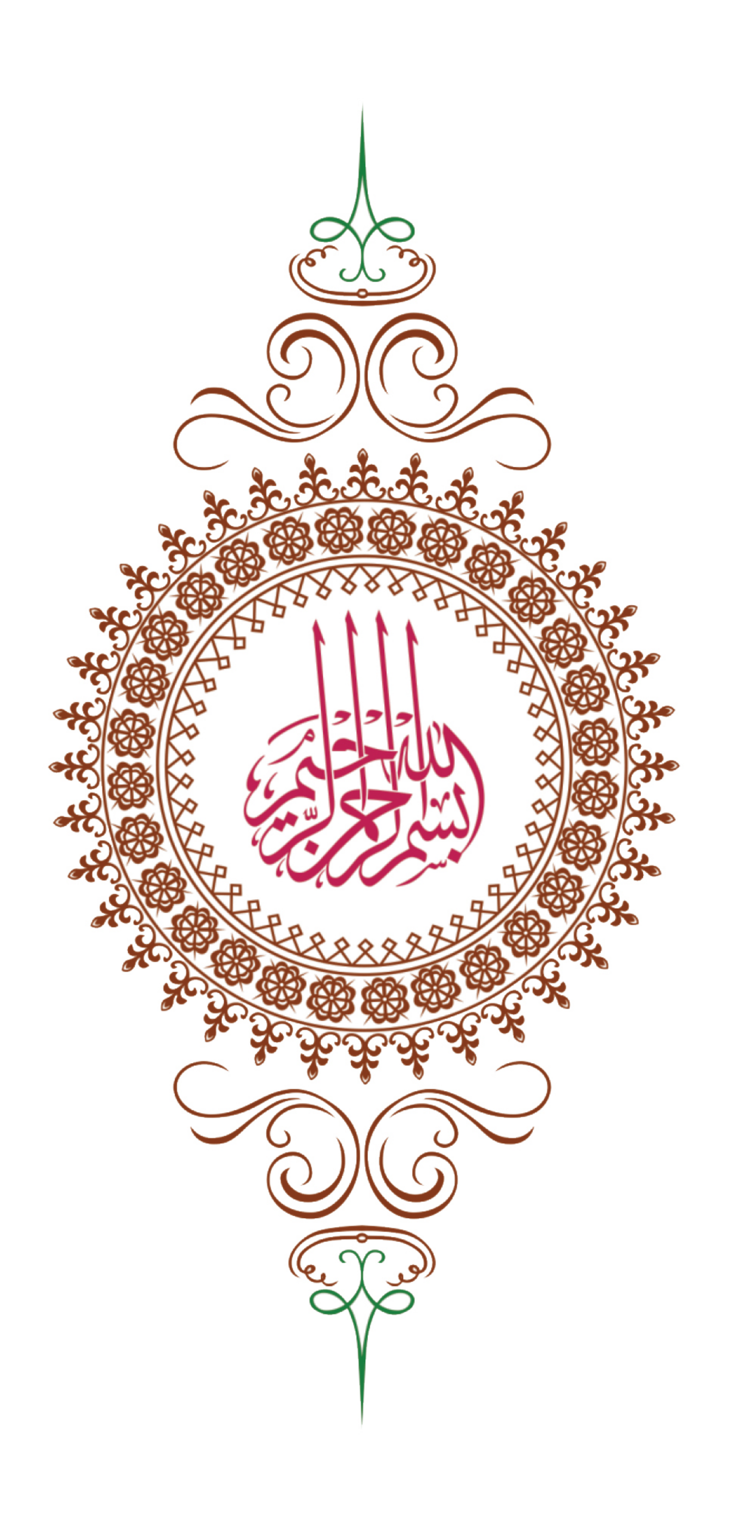

الطبعة الأولى
1445هـ
من أراد أن يطبع هذه الرسالة فله ذلك
طبع ونشر وتوزيع
مكتبة دار الطبراني للطباعة (4)
مجموعة واتساب
امسح هذا الرمز ضوئياً باستخدام كاميرا واتساب للانضمام إلى هذه المجموعة
دار الطبراني
للطباعة والتجليد والنشر والتوزيع
ت/775250954
العنوان: اليمن - لحج - تبن - مركز دار الحديث بالفيوش



كشف فرية الطاعنين في دين الإسلام بقولهم: (إنه دين التخلّف والرّجعية، وإن العلوم الحديثة تتعارض مع الإسلام، وإن أوربا لم تتقدم في العلوم الحديثة إلا باتجاهها إلى الإلحاد والعلمانية) ونسف هذا البهتان والردّ عليه من وجوه كثيرة

جمع وإعداد

مهدي بن ناصر الجونة


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد فإن دين الإسلام هو النعمة الكبرى، قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ولقد حرِص أعداء الإسلام من الملاحدة واليهود والنصارى على تشويه هذا الدين الجليل العظيم، وبذلوا جهودهم وأموالهم في سبيل الصدّ عنه، وسخّروا كافّة إمكاناتهم وأساليبهم ووسائلهم لأجل إبعاد المسلم عن دينه وإيقاعه في الكفر والانحلال، كما بيّن لنا ذلك ربنا في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٠١]، وقال سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وكان من أكبر الافتراء والبهتان قولهم: "إن العلوم الحديثة تعارض الدين، وإن الإسلام دين التخلّف والرجعية، وإن الغرب حين اتجهوا إلى الإلحاد والعلمانية تقدموا في العلوم الحديثة".

وقد تأثر بعض شباب المسلمين بهذه الفرية، وخصوصًا روّاد العلوم الحديثة، وظنوا أن لهذا الكلام حظًا من الصواب؛ فنتج عن ذلك انبهارهم بالغرب، والنظر إلى الإسلام بعين النقص أو التخلّف. والعياذ بالله.

وقد رأيت أن من الواجبات المتحتّمة كتابة هذه الرسالة، لأمور:

الأول: بيان عظمة الإسلام وأنه دين العلم والمعرفة والتطوّر والرّقي، فهو يدعو بقوّة إلى أخذ العلوم الحديثة وتسخيرها لمصالح الدين والدنيا.

الثاني: صدّ هجمات الملاحدة والعلمانيين، وردّ سمومهم المنفوثة، والدفاع عن هذا الدين الجليل العالي العظيم.

الثالث: إنقاذ شبابنا من هذه الأفكار الأجنبية عن العلم والدين، التي غايتها وهدفها قطع صلة المسلم بربه حتى يصير مخلوقًا تافهًا لا قيمة له ولا هدف له إلا تمجيد الأعداء والطعن في الإسلام من الداخل.

الرابع: بيان أنه لا تعارض أبدًا بين الدين والعلوم الحديثة كالفيزياء والكيمياء والطبّ الحديث والرياضيات والأحياء والهندسة وغيرها، بل إن هذه العلوم الحديثة تدعو إلى تعظيم الله عزّ وجل والإيمان به سبحانه، كما صرّح بذلك كبار علماء وعباقرة العلوم الحديثة في هذا العصر، وبيّن كثير منهم أنها كانت سبب دخولهم في الإسلام.

الخامس: لفت الانتباه إلى هذه القضـيّة الكبيرة، وإشـاعتها وتوضـيحها وبيانها في كل مكان، فهي قضـية الإسـلام والمسـلمين؛ لأن أعداء الإسـلام قد لبّسوا على بعض المسلمين بافترائهم على الإسلام هذا الكذب والبهتان.

وسأذكر -إن شاء الله- المراجع التي استفدت منها في آخر هذه الرسالة.

ومع أهمية هذه القضـية فقليل بل نادر من أهل العلم والدعاة من يفردها بمحاضرة أو خطبة أو درس أو رسـالة، وهذا أمر واقعي -مع الأسـف-، وتجد في المقابل كثرة التبجّح بهذه الفرية عند الملاحدة والعلمانيين ونحوهم إذا أرادوا الطعن في الإسـلام أو التلبيس على المسـلمين، وهنا يكمن الخطر حيث تنتشر هذه الفرية بأسـاليب مزخرفة مع نَفَسٍ خبيث يُشـمّ منه كراهة الإسلام والقدح فيه وانتقاصه. والعياذ بالله.

فيا حرّاس الإسـلام، إن هذا الموضـوع لا تكفي فيه رسـالة أو خطبة أو محاضرة فحسـب، بل هو -والله- جدير بالعناية والاهتمام، وذلك بتكثيف الكلام عنه في المحاضرات والخطب والكتب والرسـائل والدروس والمنشورات والكلمات والتوجيهات وغير ذلك مما يرضي ربنا تبارك وتعالى.

وقد بيّن الدكتور غالب عواجي -رحمه الله - وغيره أنه يجب على كل قادر أن يكشف هذه الفرية ويردها، وذلك للضـــــرورة الملحّة التي وصل إليها حال كثير من المسلمين من تشويش أفكارهم بسبب سماعهم لهذا البهتان.

وأصل هذه الفرية قول التغريبيين (الذين تأثروا بأفكار الغرب المخالفة لدين الإسـلام): [إن أوربا لما نابذت الدين تقدمّت في العلوم الحديثة، فهذا يدلّ على صـحّة الإلحاد والعلمانية اللادينية، وأن التمسّـك بالإسـلام تخلّفٌ ورجعية]

هذه هي فريتهم، أخذوها عن الغرب، وأعانوهم على الطعن في الإسلام، بل تبنّى كثير منهم هذا البهتان. والله المستعان.

وإن من أهم المهمّات أن يعتني أهل العلم والدعاة بتكثيف الردود التي تنسف تلك الفرية، وتكشف الستار للمسلمين وتبيّن لهم حقيقة أولئك الملاحدة والعلمانيين الطاعنين في الدين.

وسأذكر-إن شاء الله-في هذه الرسالة ما تيســـــر من الأصول والردود التي تكشف حقيقة هذا البهتان، وتبيّن حال الطاعنين من العلمانيين والملاحدة العرب، وتوضّح للمسلمين حقيقة هذه القضية حتى يدركوا هذا الأمر ويحذروا من أهل الشرّ.

وستُذكر إن شاء الله هذه الأصول والردود على سبيل الإيجاز تذكيرًا وتنبيهًا لمن أراد الكلام أو الكتابة في هذا الموضوع الذي لا يشك عاقل أن الحاجة ماسّة لتبيينه وإيضاحه للمسلمين وخصوصًا في هذا الزمان.

وفيما يلي نذكر -مستعينين بالله- بعض الردود على تلك الفرية الكبيرة والبهتان المبين، وقد اشتملت هذه الردود -بحمد الله- على أصول ومسائل مهمّة في هذا المجال.

والردود على تلك الفرية وكشفها له وجوه كثيرة، وهي كما يلي:

الوجه الأول: أن أصل هذه القضية وسببها الأول هو طغيان الكنيسة النصرانية حين تسلّطت على أتباعها في أوربا وحملتهم على الخضوع لتعاليمها الفاسدة ومبادئها الباطلة المفتراة، وحاربت العلوم والمخترعات بحجة أن ذلك يُعتبر خروجًا على مبادئ الكنيسة؛ ولذلك فقد قتلت كثيرا من العلماء وعذّبت كثيرًا منهم بسبب هذه الحجة الباطلة الجائرة.

ولما قامت الثورة الفرنسية ضدّ الكنيسة وسقط سلطانها ظهرت في أوربا ردّة فعل ضد الكنيسة فصار الناس هناك يبغضون الكنيسة واتجهوا إلى المذاهب الإلحادية والعلمانية اللادينية.

وحقيقة هذه القضية: أن الذي حدث في أوروبا كان صراعاً بين الكنيسة والعلم، وليس بين الدين والعلم.

وبهذا يتضح أن العلمانيين والملاحدة العرب الناعقين بهذه الفرية قد ظلموا العلم والدين معًا.

لقد ظلموا الدين حين نقلوا إلينا صراع الكنيسة والعلم على أنه صراع بين الدين والعلم؛ ذلك أن الدين الذي بشر به عيسى -عليه السلام- بريء مما فرضته الكنيسة على أتباعها وجعلته دينا لها؛ ولو كان عيسى ابن مريم بينهم لأعلن براءته منهم ومن دينهم الذي نسبوه إليه. ولقد توعد الله هؤلاء في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩] .

وظلموا العلم ثانيًا حين قالوا: إن العلم ينفي الدين ويناقضه؛ ذلك أن العلم الصحيح في ذاته حق، والدين المنزّل من عند الله حق، ، ومحال أن ينفي حق حقًا آخر أو يعارضه.

كما ظلموا الإسلام ثالثًا حين أقحموه في هذه المعركة وجعلوه مثل الكنيسة دون أن يفرقوا بين الكنيسة وموقفها الرافض للعلم المحارب

للعلماء، والإسلام واحتضانه للعلماء ودعوته للعلم والمعرفة كما سيأتي بيانه – إن شاء الله–في الوجه الثالث.

الوجه الثاني: أن الثورة الفرنسية نفسها الداعية للعلمانية وحقوق الإنسان والمدعية للعلم قد قتلت الكثير بما في ذلك طائفة من المفكرين والعلماء عند مخالفتهم لها سياسيًا، وممن سجنته الرياضي والفيلسوف "كوندورسيه"، وقد وجد ميتًا في السجن![1].

ومع هذا لا تجد للطاعنين في الإسلام موقفًا من الثورة الفرنسية حين حاربت وقتلت أولئك المفكرين والعلماء، وهذا يدلّ على أن القضية عند هؤلاء ليست قضية علمية معرفية، وإنما هي العداوة للإسلام والتبعية والتقليد الأعمى للغرب الذي رفع لواء العلمانية واللادينية والإلحاد.

الوجه الثالث: أن الإسلام يدعو إلى العلم، فالموقف الإسلامي من العلم موقف لا مثيل له؛ فقد وضع الإسلام العلم في منصّةٍ عالية، ويكفي دلالة على مكانة العلم في الإسلام أن أول سورة نزلت كان فيها الحديث عن العلم

(١) انظر: تاريخ الفكر الأوربي، رونالد ص٢٧٧ وما بعدها، وموسوعة الفلسفة، د. عبدالرحمن بدوي ٢/ ٣١٥،٣١٦، والنظريات الفكرية الحديثة مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي، د. حسن الأسمري، ص١٢٤

ووسـائله، وهي سـورة العلق، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْـمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ .خَلَقَ الْإِنْسَـانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَـانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١ – ٥].

وقد جاءت الآيات والأحاديث في الحثّ على العلم والتعلم بصـور وأشكال مختلفة بالأمر الصـريح و بمدح العلم وأهله، و بذكر الأجر، وبذكر التميز، وبذكر المآل الحسـن، وغيرها من الصـور التي عُرض بها العلم في الكتاب والسنة.

ودعت آيات القرآن إلى اسـتخدام العقل في بابه الصـحيح، والآيات وإن قصـدت في البدء إلى تحريك العقل نحو مقاصـد دينية، إلا أن في ذلك توجيهًا صريحًا لتشغيل العقل وعدم إهمال شـأنه، فجاءت آيات تدعو إلى النظر، وإلى التبصر، وإلى التدبر، وإلى التفكر، وإلى الاعتبار، وإلى التفقه، وإلى التذكر، وآيات في ذمّ الذين لا يعقلون وغيرها، وغذاء العقل هو العلم.

ونصـوص الكتاب والسـنة في هذا الباب كثيرة ومتنوّعة، وهي تدلّ على منزلة العلم في الإسـلام، وعلى أهمية إعمال العقل فيما يقرِّب من الله وفيما ينفع من أمور الدين والدنيا، ومن هنا يُعلم أنه ما وُجد حثٌّ على العلم وإعمال العقل مثل ما وُجد في الإسلام.

وكما فتح الإسلام الباب للعلم النافع فقد أزال كل العوائق التي تعيقه، ومن ذلك مثلًا التحذير من اتباع الظن، واتباع الهوى، ومن الجدل المذموم، ومن البغي، والريب، ومن تبديل كلام الله، ومن تحريف الكلم عن مواضعه، ونهى عن تقليد الآباء والزعماء والأحبار والرهبان بالباطل، ومن ذلك محاربته للخرافة من السحر والشعوذة والتنجيم، والخرافات التي تتعلق بالتصور والاعتقادات الباطلة، وغيرها من المنهيات التي غاية النهي عنها صلاح حال المسلم في دينه ودنياه.

فمن تأمل هذا الباب عَلِمَ عظمة هذا الدين الذي ما ترك باب خير إلا دلنا عليه وما ترك باب شر إلا نهانا عنه.

وقد بيّن علماء الإسلام هذه القضية، وأوضحوا أن الإسلام يحث على العناية بالعلوم الحديثة النافعة، بل إن ذلك مما يدخل في الدين الإسلامي. فهذا العلامة السعدي رحمه الله أخرج كتابًا عنوانه: "الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخلة في الدين الإِسلامي"، وهكذا العلامة محمد الأمين الشنقيطي والعلامة عبد العزيز بن باز، والعلامة عبد الرزاق عفيفي، والعلامة عبد الله بن غديان، والعلامة عبد الله بن قعود- رحمهم الله جميعاً-بيّنوا هذا الأمر، وغيرهم كثير وكثير والحمد لله.

وقد شهد بهذه الحقيقة كبار العلماء المتخصّصين في العلوم الحديثة، وسنذكر بعض شهاداتهم في وجه من الوجوه التالية إن شاء الله.

الوجه الرابع: أن هذه العلوم من الله؛ فيستحيل أن يوجد خلاف أو تناقض بين دين الله ومخلوقاته: فنحن حين نقول: إنه لا خلاف بين العلم والدين، فمعنى ذلك أن القرآن يستحيل أن يتضمن غلطًا في حقيقة كونية وصل إليها العلم، لأن كلام الله ووحيه لا يناقض خلقه.

ولما كان الذي أجرى السحاب هو الذي أنزل الكتاب، ولما كان خالق العالمين هو الذى أوحى ذلك القرآن الكريم، فإنه من الممتنع أن يصف الله مخلوقاته في وحيه بغير الحق، قال تعالى: ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤] وقال:﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: ٧٩]،وقال سبحانه:﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الأعراف: ٥٢].

ومما يدلّ على هذا الأصل قول الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله-: (وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ اللهَّ سُبْحَانَهُ يَشْهَدُ بِمَا جَعَلَ آيَاتِهِ الْمَخْلُوقَةَ دَالَّةً عَلَيْهِ، فَإِنَّ دَلَالَتَهَا إِنَّمَا هِيَ بِخَلْقِهِ وَجَعْلِهِ، وَيَشْهَدُ بِآيَاتِهِ الْقَوْلِيَّةِ الْكَلَامِيَّةِ الْمُطَابِقَةِ لِمَا شَهِدَتْ بِهِ آيَاتُهُ الْخَلْقِيَّةُ، فَتَتَطَابَقُ شَهَادَةُ

الْقَوْلِ وَشَهَادَةُ الْفِعْلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] ، أَيْ أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَدُلُّ بِآيَاتِهِ الْأُفُقِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ عَلَى صِدْقِ آيَاتِهِ الْقَوْلِيَّةِ الْكَلَامِيَّةِ، وَهَذِهِ الشَّهَادَةُ الْفِعْلِيَّةُ قَدْ ذَكَرَهَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالتَّفْسِيرِ)[١].

وقال رحمه الله-: (ومن الآيات التي في الأرض مما يحدثه الله فيها كل وقت ما يصدق به رسله فيما أخبرت به فلا تزال آيات الرسل وأدلة نبوتهم يحدثها الله سبحانه وتعالى في الأرض إقامة للحجة على من لم يشاهد تلك الآيات التي قاربت عصر الرسل حتى كأن أهل كل قرن يشاهدون ما يشاهده الأولون أو نظيره كما قال ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ وهذه الإرادة لا تختص بقرن دون قرن بل لا بد أن يُري اللهُ سبحانه أهل كل قرن من الآيات ما يبين لهم أن الله الذي لا إله إلا هو وأن رسله صادقون)[٢]

ولهذا شهد كثير من كبار العلماء المتخصصين في العلوم الحديثة بأنه لا يوجد أي خطأ علمي في القرآن، وأن الاكتشافات العلمية الحديثة في هذا

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٢٢

(٢) التبيان في أقسام القرآن ص١٨٤

العصر ـ مطابقة تمامًا لما جاء في القرآن الكريم، وسنذكر بعض شهاداتهم في الوجوه القادمة إن شاء الله.

وبهذا يتبيّن أن العلوم الحديثة الصحيحة تتوافق مع الإسلام، لأن الذي خلق الكون هو الذي شرع الإسلام وأنزل القرآن، وبهذا نعلم أن الذين يطعنون في الإسلام بأنه دين التخلّف وأنه يتعارض مع العلوم الحديثة، أنهم لم يعرفوا حقيقة الإسلام، كما أنهم لا يعرفون العلوم الحديثة. وحينئذ يتبيّن أن هؤلاء الطاعنين المفترين هم أهل الجهل والتخلّف والرجعية. والحمد لله.

الوجه الخامس: أن العلوم الحديثة لا تعارض الإيمان فحسب، بل إنها تدعو إلى الإيمان: فهذا الكون الواسع إنما هو آية دالة على وجود خالقه وكمال صفاته، قال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١]

فالكون بكل ما فيه هو آية دالّة على وجود خالقه سبحانه وتعالى وعلى وحدانيته، كما أنه يدلّ على عظمة الله وصفاته الكاملة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤]

فهذا الكون بنظامه البديع وإتقانه العجيب يدل دلالة واضحة على وجود خالقه وأنه المستحقّ وحده للعبادة، كما يدل على عظمة صفات خالقه وكمالها، فيدلّ على كمال قدرته وحكمته وعلمه وإحسانه وغيرها من صفات ربنا سبحانه، وكلما ازداد العقل البشري علمًا بدقائق الصنعة ورسوخًا في العلوم الحديثة ازداد قلب العالم إيمانا ويقينا بوجود الله الخالق ومعرفة بعظمته وصفات جلاله وكماله سبحانه، "فكل جزئية في هذا العالم تدل على صفات الخالق لها"، ومعرفة هذه الدلالات هي إحدى مهام العقل ووظائفه، ولا سبيل للعقل إليها إلا إذا وقف أمامها متأملا متعجبا متسائلا كما قال سبحانه:﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩] .

إن هذه المشاهدات كلها تحمل معها آثار صانعها وصفاته من الرحمة، والعلم، والحكمة، والقدرة، والإرادة، مما يدل على أن الكون كله يدلّ على خالقه ووحدانيته وعظيم صفاته سبحانه وتعالى.

وإن من أهم المهمات المتحتّمة علينا معاشر المسلمين-وخصوصًا في هذا العصر-: استجلاء هذه المعاني من القرآن الكريم والتنبيه عليها والاهتمام بها

وتربية النشء عليها وامتلاء قلوبهم بالإيمان بها، لأنها قطب الرحى في تثبيت قضية الإيمان في القلوب، إن مناهج الدراسة في المؤسسات التعليمية ينبغي أن تجعل من هذه القضية محورا أساسيًا تربي عليها الشباب حتى ينشأ المرء عارفا بربه من خلال تعرفه على دقائق صنعته في كل جزئيات هذا الكون، فيتعرف الطبيب والمهندس وعالم النبات والفلكي وعالم الحشرات وغيرهم، كلٌّ فيما يخصه على دقائق الصنعة التي هو بصددها ويستخرج ما فيها من دلائل القدرة والعلم والحكمة والقوة والإحسان والرحمة وغيرها ليزداد إيمانا على إيمانه، وليعلم أن هذه المعاني لا يمكن أن تقع مصادفة بلا قصد ولا غاية فيوقن أن وراءها خالقًا قادرا وليعلم أنها ﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

الوجه السادس: أن التعارض إنما هو بين الدين الحقّ والمذاهب الإلحادية والأفكار الباطلة والنظريات الفاسدة، وأما العلوم الحديثة الصحيحة فلا تتعارض مع الدين، بل توافقة مئة بالمئة كما تقدم بيان ذلك في الوجوه السابقة.

إن العلوم الحديثة لا تكون صحيحة إلا إذا اتفقت مع آيات القرآن الكريم، فكل علم مخالِف لحقائق القرآن هو علم زائف، لأن قائل القرآن

هو الله سبحانه وتعالى وخالق الكون هو الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا يستحيل أن يوجد في العلوم الكونية الصحيحة شيئًا يخالف القرآن الكريم.

وينبغي التنبيه على أن الدين الذي كان يعارض العلم الحديث في أوروبا ليس هو الإسلام بالقطع، ومن الإنصاف أن نقول: إنه أيضا ليس دين المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام، وإنما كان دينًا اخترعته الكنيسة ونادى به رجالها.

لقد تعامل الغرب مع دين الكنيسة المحرّف، ومن الطبيعي أن يحدث التعارض بين الدين المحرّف والعلم في بلاد الغرب، وفي كل بلاد العالم التي لا تدين بالإسلام؛ لأن الدين الذي بين أيديهم دين محرف أو مخترع، وما كان بهذه الحال فقد دخلته أهواء البشر ونقصهم، ومن الطبيعي أن يتصادم مع الحقائق يومًا ما، أما دين الإِسلام المحفوظ بحفظ الله له، فلا يمكن أن يتعارض مع الحقائق العقلية أو العلمية أو الواقعية.

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]

قال الراغب الأصفهاني -رحمه الله- عند تفسير هذه الآية: (ادعت الملاحدة - لعنهم الله - فيه التناقض، فبيّن تعالى أن الذي أتاكم به من الشرع

لو كان من عند غير الله لكان مقتضى العقل يخالفه، فلمّا لم يوجد بينه وبين العقل منافاة عُلم أنه من عند الله، وبعض الناس تصور أشياء لاعتقادات فاسدة، فظنوا أن العقل حكم بضد الشرع) (١)

ففرق بين الكنيسة التي تبنّت الخرافات والجهالات وجعلتها دينًا وكانت تحارب العلم والعلماء باسم الدين وبين دين الإسلام الذي جاء بالحق ودعا إلى العلم وحث عليه وأعلى مكانة العلماء.

وهذه حقيقة يعرفها العقلاء، ولكن الملاحدة العرب والعلمانيين يصرون على التمادي في دعوتهم إلى الإلحاد والعلمانية بحجة ادعاء عداوة الإسلام للعلم، ويطعنون في الإسلام بقولهم: «الخصومة بين العلم والدين»، وينشرون هذا البهتان العظيم داخل المجتمعات الإسلامية على ألسنة بعض الأساتذة في الكليات الجامعية في الوطن العربي والإسلامي، حتى يحملوا شباب الجامعات على قبول الشك في الإسلام، بدعوى معاداته للعلم ... كما تراهم ينفثون سمومهم الفكرية التي أخذوها عن الغرب، وهذا الصنف الطاعن في الإسلام المفتري على الدين، يجد دائمًا مكافآته بالمال أو بالرحلات

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (٣/ ١٣٤٩،١٣٥٠)

على حساب منظمات يهودية وجهات أجنبية معادية للإسلام وحاقدة على المسلمين.

ولكن يوجد بحمد الله الكثير من أساتذة وطلاب الجامعات وغيرهم من الشرائح المثقفة في المجتمعات الإسلامية يتمسكون ويعتزّون بدين الإسلام ويجمعون بين التزوّد من الإيمان مع التزوّد بالعلوم الحديثة، لأنهم يعرفون حقيقة الإسلام وأنه يدعو إلى العلم والمعرفة في جميع المجالات. والحمد لله.

أصل مهم: ادّعاء أن بعض المعارف أو النظريات قد وقع فيها التعارض بين العلم الحديث والنصوص الشرعية في دين الإسلام، هذا شيء ممتنع، فإن الأمر لا يخلو من أحد الاحتمالات التالية:

١- إما أن يكون ما نُسب إلى العلم الحديث مجرّد فرضيات ونظريات لم تثبت بأدلة علمية يقينية، فهي إذن ليست حقائق علمية، ولا يصح أن نعارض النصوص الشرعية الصريحة اليقينية بفرضيات خاطئة ونظريات فاسدة.

٢-وإما أن يكون ما نُسب إلى الدين ليس صحيحًا، كأن يأتي حديث موضوع أو باطل أو ضعيف مردود، ويكون مناقضًا لحقيقة علمية يقينية، فحينئذ لا يُقال إن الدين يناقض العلم الحديث، لأن تلك الأحاديث الباطلة والمردودة ليست من الدين أصلًا، فهي غير مقبولة بل مردودة عند المسلمين.

٣-وإما أن تحصل الإساءة بفهم النص الشـــرعي فهمًا خاطئًا، فيظن بعضهم أن هذا النصّ يناقض تلك الحقيقة العلمية الحديثة، والحقيقة أن المناقضــة إنما حصلت بين العلم الحديث والفهم الخاطئ، وهذا الفهم الخاطئ الفاسد ليس من الدين، فلا تناقض بين العلم والدين، لأن الفهم الصحيح للنص الشرعي لا يناقض تلك الحقيقة العلمية، بل هو بعيد كل البعد عن ذلك الخطأ، ولهذا يجب فهم النصـوص الشرـعية فهمًا صـحيحًا صـيانة لها عن تأويل الجاهلين وافتراء المبطلين.

وبهذا يتبيّن أنه يسـتحيل أن تتعارض الحقائق العلمية الحديثة مع نصـوص القرآن والسنة الصحيحة، وأن كل ما ادّعاه الملاحدة والعلمانيون من الأفكار والنظريات المخالفة لدين الإسـلام أنها ليسـت من العلم في شيء، وإنما هي ضـلالات وانحرافات فكرية سـمّاها المبطلون علمًا لغرض الطعن في دين الإسلام.

فنصوص الإسلام حقّ، وكل ما خالفها فهو باطل وليس بعلم، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٠] ، وقال سبحانه: ﴿ ذلِكَ بِأَنَّ اللهَّ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَّ هُوَ الْعَلِيُّ

الْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢]، وقال سبحانه: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

وهكذا فإن الدين الإسلامي يحارب الخرافة والجحود والأفكار الإلحادية والنظريات الفاسدة الخاطئة التي تخالف حقائق ما في الكون، وهكذا العلم الحديث يحارب الخرافة والجحود والأفكار الإلحادية والنظريات الفاسدة الخاطئة التي تخالف حقائق ما في الكون، وبهذا يتّضح أن الدين الإسلامي والعلم الحديث يشتركان معًا في معركة ضد الباطل، وقد صرّح بذلك البروفيسور "ماكس بلانك" الذي فتح الطريق إلى أسرار الذرة، أحد أشهر علماء الفيزياء، فقال: (إن الدين والعلوم الطبيعية يقاتلان معًا في معركة مشتركة ضدّ الشك والجحود والخرافة، ولقد كانت الصيحة الجامعة في هذه الحرب وسوف تكون دائمًا: إلى الله)(١).

وخلاصة هذا الوجه أن النظريات الإلحادية والمذاهب المادية الباطلة لم تقم على أساسٍ علمي، وإنما أحدثها الكفار الملحدون وألصقوها بالعلم الحديث زورًا وبهتانًا، واستخدموا وسائل الترغيب والترهيب لأجل ترويجها

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ١٦٨.

ونشرها في أوساط الشعوب، وهي في الحقيقة ليست من العلم فهي تخالفه وتعارض الدين أيضًا، بل إن العلم الحديث قد أثبت زيفها وبطلانها،

وبهذا يتبيّن أنه يستحيل أن تتعارض الحقائق العلمية الحديثة مع نصوص القرآن والسنة الصحيحة، وأن كل ما ادّعاه الملاحدة والعلمانيون من الأفكار والنظريات المخالفة لدين الإسلام أنها ليست من العلم في شيء، وإنما هي ضلالات وانحرافات فكرية سمّاها المبطلون علمًا لغرض الطعن في دين الإسلام، فالنظريات الإلحادية والمذاهب المادية الباطلة لم تقم على أساسٍ علمي، وإنما أحدثها الكفار الملحدون وألصقوها بالعلم الحديث زورًا وبهتانًا، واستخدموا وسائل الترغيب والترهيب لأجل ترويجها ونشرها في أوساط الشعوب، وهي في الحقيقة ليست من العلم فهي تخالفه وتعارض الدين أيضًا، بل إن العلم الحديث قد أثبت زيفها وبطلانها، فكيف يُقال بعد ذلك: إنها من جملة العلم، وهي مناقضة ومعارضة للعلم الصحيح كما أنها مناقضة لدين الإسلام !!.

وبهذا يتبيّن أن تلك النظريات الفاسدة والمذاهب الإلحادية عدوّة للدين والعلم معًا. والله المستعان.

الوجه السابع: أنه قد شهد كبار العلماء والعباقرة المتخصّصين في العلوم الحديثة أنه لا تعارض بين العلم الحديث والدين، وأن العلم الحديث يدعو إلى الإيمان، وأنهما يشتركان في معركة واحدة ضد الإلحاد والخرافة والجهل.

ونذكر فيما يلي بعض شهادات كبار علماء وعباقرة العلوم الحديثة:

١-الدكتور موريس بوكاي "طبيب فرنسي، رئيس قسم الجراحة في جامعة باريس، اعتنق الإسلام عام١٩٨٢م"، يقول: (لم أجد التوافق بين الدين والعلم إلا يوم شرعت في دراسة القرآن الكريم؛ فالعلم والدين في الإسلام شقيقان توأمان)[١].

٢-العالم البريطاني البروفيسور "آرثر أليسون" رئيس قسم الهندسة الكهربائية والإلكترونية بجامعة لندن، قال: (إن الحقائق العلمية التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية من قبل أربعة عشر قرناً قد أثبتها العلم الحديث الآن، وبالتالي نؤكد أن ذلك لم يكن من عند بشر على الإطلاق، وأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو رسول الله)[٢].

---

(١) (القرآن الكريم والعلم المعاصر) د. موريس بوكاي ص (١٢٣)

(٢) رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا (ص: ٢٣٥-٢٣٧) عبد الرحمن بن محمود

٣-الدكتور "كيث مور":وهو من أشـهر العلماء في علم الأجنة ويعرفه تقريباً كل أطباء العالم؛ فله كتاب يُدرَّس في معظم كليات الطب في العالم وقد تُرجم هذا الكتاب لأكثر من ٢٥ لغة، لقد وقف هذا الرجل في وسـط جمع من كبار العلماء المتخصّصـين في العلوم الحديثة، وقف قائلاً: (إن التعبيرات القرآنية عن مراحل تكوّن الجنين في الإنسـان لتبلغ من الدقة والشـمول مالم يبلغه العلم الحديث؛ وهذا إن دل علي شيء فإنما يدل على أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون إلا كلام الله وأن محمداً رسول الله)[١].

٤-الدكتور "غرينييه"عضـو مجلس النواب الفرنسي : قال: (تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والطبيعية، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسـلمت لأني أيقنت أن محمداً أتى بالحق الصُراح... ولو أن كل صـاحب فن من الفنون قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بفنه أو بعلمه مقارنة متعمقة، كما فعلت أنا، لأسـلم بلا شك، إن كان عاقلاً وخالياً من الأغراض)[٢].

---

(١) ذكر هذا الدكتور زغلول النجار في كتابه "الذين هدى الله"

(٢) عن (أوربة والإسلام) د. عبد الحليم محمود (١٠٣)، و(الإسلام في قفص الاتهام) د. شوقي أبو خليل (١٦).

٥-أشهر علماء الأجنّة وأساتذة التشريح في هذا العصر، ومنهم: الدكتور (برسود) والبرفسور (جو لي سيمبسون) والدكتور (مارشال جونسون) والدكتور (جيرالد جورينجر)، حيث طابقوا بين الاكتشافات العلمية الحديثة في هذا العصر وبين ما جاء في القرآن، فوجدوا أنه لا يوجد أي خطأ علمي في القرآن وأن الاكتشافات العلمية الحديثة في هذا العصر مطابقة تمامًا لما جاء في القرآن الكريم، وشهدوا بقولهم: (إن هذا يدلّ على أن القرآن نزل من عند الله تعالى).

٦- مشاهير العلماء المتخصصين في العلوم الحديثة، ومن الدرجة الأولى: جمع المؤرخ الفرنسي "جان ديليمو" شهادات مشاهير العلماء الذين ينتمون إلى اختصاصات متعددة في العلوم الحديثة، ومن الدرجة الأولى، وقد أعلنوا التوافق بين العلم والإيمان، وقالوا: (إن تخصصهم العلمي الدقيق لا يتعارض مع الإيمان بالله، على العكس فإنه يزيد منه ويقويه)،[1].

٧-شهادة اثني عشر عالمًا من علماء العلوم الحديثة: عرض مؤلف كتاب "العلم والإيمان في الغرب الحديث" شهادة اثني عشر عالمًا من المتخصصين في العلوم الحديثة، كل في مجاله ويدلي بدلوه ضدّ الإلحاد.

---

(١) العلم والإيمان في الغرب الحديث، هاشم صالح ص ١١.

٨- البروفيسور " ماكس بلانك" الذي فتح الطريق إلى أسرار الذرة، أحد أشهر علماء الفيزياء: (إن الدين والعلوم الطبيعية يقاتلان معًا في معركة مشتركة ضدّ الشك والجحود والخرافة، ولقد كانت الصيحة الجامعة في هذه الحرب وسوف تكون دائمًا: إلى الله)[1].

ومن عباقرة وعلماء العلوم الحديثة الذين شهدوا أيضًا على أنه لا تعارض بين العلم والإيمان، وأن العلم يدعو إلى الإيمان:

٩-العالم الفيزيائي "د. بول ديفيز"- عالم الطبيعة "جورج إيرل"

١٠- العالم الطبيعي والفسيولوجي "أندرو كونو"

١١- المؤرخ الإنجليزي "ويلز"

١٢-الفيلسوف "روجيه جارودي": دكتوراة في الفلسفة من جامعة السوربون، ودكتوراه في العلوم من موسكو

١٣-أستاذ الفلسفة الجامعي الفرنسي "روبرت بيرجوزيف":

١٤-البروفيسور "تيجاتات تيجاسون" رئيس قسم علم التشريح في جامعة شيانك مي، تايلند:

١٥- المفكر الانجليزي "عبد الله كويليام"

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ١٦٨.

١٦-المفكر السويسري "روجيه دوباكييه"

١٧- الدكتور الفرنسي "علي سليمان بنوا":

١٨-العالم المجري "عبد الكريم جرمانيوس":

١٩- عالم الاجتماع الإنجليزي "حسين روف"

وغيرهم كثير وكثير. والحمد لله.

ونكتفي في هذه الرسالة المختصرة بما ذكرناه في بيان أن دين الإسلام لا يتعارض مع العلم، بل يدعو إليه ويحثّ عليه، والنصوص وكلام العلماء في هذا الباب أكثر من أن تُحصر؛ فمن زعم بعد هذا أن الإسلام يعارض العلوم الحديثة فهو كاذب طاعن في دين الإسلام، فعلى المسلمين أن يحذروا من هذا الصنف المعتدي المفتري على دين الله. والله المستعان.

تنبيه:

لقد أفردنا -بحمد الله-رسالة خاصة في ذكر شهادات علماء وعباقرة العلوم الحديثة التي صرّحوا فيها بأن العلم لا يتعارض مع الإيمان، بل يدعو إليه ويحثّ عليه. وقد اشتملت تلك الرسالة على شهادات علماء كثيرين جدًا والحمد لله.

الوجه الثامن: أن الحضـــارة الغربيـة قد فَشِـلَـتْ في التعرُّف على ربِّ العالَمِين، وتأســيس صــلةٍ صــحيحة معه تقوم على تمجيده، وتقدير نِعمته، والشــعور بعَظمته، والتســبيح بحمده، والتعويل عليه في الأزمات، والاطمئنان إليه في المَخاوف؛ ولهذا عمّ الشــقاء والحيرة والقلق والانتحار كثيرًا من أرجاء أوربا، ولم تسـعد بالعلم حين ابتعدت عن الدين، وهذا يدلّ دلالة قاطعة على أنه لا بدّ من الجمع بين العلم والدين؛فالعلوم الحديثة لم تفســر للغرب الأسئلة الكبرى (لماذا خُلقنا وما الحكمة من وجودنا ونحو ذلك).

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ. مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]

إن الوحي هو الذي يقدم للعقل تفســيرا مقنعا لعلة الوجود وغايته، والوحي هو الذي يقول للعقل: إن هناك حياة آخرة بعد الحياة الدنيا يكتمل بها حكمة الوجود الإنســاني، يكتمل بها الموقف المعرفي للعقل، يكتمل بها منظومة الوجود كله في ضــوء من العدل الإلهي الذي به يكون للوجود معنى وللأخلاق أثر في سلوك الإنسان.

وهذا يدلّ على أن صلاح البشرية لا يكون إلا بالإسلام الذي يحل جميع التساؤلات والمشكلات الإنسانية، ولهذا يقول المفكر "آرثر هاملتون": (لو توخى الناس الحق لعلموا أن الدين الإسلامي هو الحل الوحيد لمشكلات الإنسانية)(١)،

ويقول المؤرخ "أرنولد توينبي" : (إن الحضارة الغربية مصابة بالخواء الروحي الذي يُحوّل الإنسان إلى قزم مشوّه يفتقد عناصر الوجود الإنساني، فيعيش الحد الأدنى من حياته، وهو حد وجوده المادي فحسب، والذي يُحول المجتمع إلى قطيع يركض بلا هدف، ويُحول حياته إلى جحيم مشوب بالقلق والحيرة والتمزق النفسي... وإذا كانت النفوس الغربية قد استبدّ بها قلق الفراغ الروحي، فإلى متى نتحمل العيش بدون عقيدة دينية؟!)(٢).

فالعلوم الحديثة لا تكفي وحدها، فإن الإنسان مهما قَوِيَ بالعلم لن يكون إلَهًا، وسَيبقَى ما عاشَ فقيرًا إلى خالقه وسيده، لا يُحِسُّ طُمأنينةً إلا في السجود بين يديه واستلهامِه الرُّشْدَ.

---

(١) عن (محمد في الآداب العالمية المنصفة) محمد عثمان (٦٢)

(٢) عن(مقدمات العلوم والمناهج) أنور الجندي (٤/ ٧٧٢)، و(سبيل الدعوة) د. أمين المصري (١٦٣).

وبهذا يتبيّن أن الحضـــارة الناجحة النافعة لا تقوم إلا على الجمع بين الدين الحق والعلوم الحديثة.

الوجه التاسـع: أن تلك النقلة التكنولوجية العظيمة التي شـهدها القرن العشرـون من اكتشـاف الذرة وغير ذلك، لا تعزى إلى الحضـارة الغربية، وإنما تُعزى-بفضـل الله-إلى الحضـارة الإسـلامية التي بلغت مبلغًا عظيمًا في القرون الوسـطى، وكانت هي الأصـل الذي مهّد للغرب الطريق إلى العلوم الحديثة، حتى إن علماء الغرب أنفســهم يشــهدون أن البنيان العلمي والتكنولوجي، وعلوم الطب والفيزياء والكيمياء والهندسـة وما شـاكل ذلك مما توصـل إليه الغرب اليوم قام بغـالبيته بـدعـامـة النظريـات والمنجزات التي حققهـا العـالَم الإسـلامي إبان عصـور نهضـته. تقول "زيغريد هونكة":(لقد قدم المسـلمون أثمن هدية، وهي طريقة البحث العلمي الصــحيح التي مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم)[1].

---

(١) فهرس قصة الحضارة – ج ١- ص ١٢.

ويقول المفكر "ليوبولد فايس": (لسـنا نبالغ إذ قلنا إن العصرـ العلمي الحديث الذي نعيش فيه، لم يُدشّن في مدن أوربة، ولكن في المراكز الإسلامية في دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة)[١]

ويقول "غوستاف لوبون": (إن حضارة العرب المسلمين قد أدخلت الأمم الأوربية الوحشية في عالم الإنسانية، فلقد كان العرب أساتذتنا ... وإن جامعات الغرب لم تعرف لها مورداً علمياً سوى مؤلفات العرب، فهم الذين مدّنوا أوربة مادة وعقلاً وأخلاقاً، والتاريخ لا يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه ... إن أوربة مَدينة للعرب بحضارتها ... والحق ان أتباع محمد كانوا يذلّوننا بأفضلية حضارتهم السابقة، وإننا لم نتحرر من عقدتنا إلا بالأمس! وإن العرب هم أول من علّم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين ... فهم الذين علّموا الشعوب النصرانية وإن شئت فقل حاولوا أن يعلموها التسامح الذي هو أثمن صفات الإنسان ... ولقد كانت أخلاق المسلمين في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيراً من أخلاق أمم الأرض قاطبة)[٢].

---

(١) (الإسلام على مفترق الطرق) محمد أسد (٤٠).

(٢) (حضارة العرب) غوستاف لوبون ص (٢٦ - ٢٧٦ - ٤٣٠ - ٥٦٦).

وقد أثبتت بحوث كثيرة -من الشرق والغرب- بأن الغرب مدين للمسلمين بالمنهج التجريبي، فهم من أرسى دعائمه الأولى بعد النقد الكبير الذي وجّهوه للمنهج الصوري الأرسطي، ثم تعرف الغرب على أسس المنهج التجريبي في نهايات عصورهم الوسطى وتعلموه وطوروه في حركة الترجمة المعروفة لعلوم المسلمين، ثم جعله علماء أوروبا منهجهم العلمي المعتمد، وانطلق به كل عالم في ميدان علمه فحققوا نتائج كبيرة[1].

فكيف يُقال بعد هذا كله إن هذه العلوم الحديثة تعارض الإسلام مع أنها انبثقت من الحضارة الإسلامية !!

وبهذا يتبين أن علماء أوربا إنما استفادوا هذه العلوم الحديثة مما ترجموه عن المسلمين. والحمد لله رب العالمين.

الوجه العاشر: أن السنن الكونية لا تتغير مع المسلم ولا الكافر، فمن أخذ بالأسباب وعمل المصانع وبذل جهده ظهرت نتيجة عمله، وهكذا الغرب حين اتخذوا المصانع وغيرها وشجّعوا على البحث العلمي وبذلوا الأموال الطائلة في ذلك ظهرت نتيجة عملهم في هذه التقنية والتكنولوجيا

---

(١) النظريات الفكرية الحديثة مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي، د. حسن الأسمري، ص١٥١

التي نراها اليوم؛ فالسـنن الكونية لا علاقة لها بالدين، فمتى وجدت أسـبابها وقعت النتائج، سواء كانت الأسباب في أمة كافرة أو أمة مسلمة.

وعليك أن تدور ببصـــرك وإن استطعت فببصيرتك لترى أين مكانة العلم ومكانة العالم في بلاد المسلمين وأين نظيرها في بلاد غير المسلمين، وكم يُنفَق على البحث العلمي والعلماء في بلاد المســلمين وفي غير بلاد المســلمين، وسوف تجد نفسك بعد هذه المقارنة البسيطة موقنا تماما أن سنة الله لا تتخلف في كونه أبدا، وهذا قانون عام له أثره الفعال في طبائع العمران البشــري ازدهارا أو انهيارا، يســتوي في ذلك المجتمع المؤمن والمجتمع الكافر على حد سواء؛ لأن سنن الله محايدة لا تجامل أحدًا.

فالمخترعات والتقنية الحديثة لم تظهر تأسيسًا على علمانية أو إسلام أو غير ذلك، وإنما ظهرت نتيجة لأسـبابها الطبيعية التي هي من ســنن الله الكونية، فالعلماء في مراكز البحث الغربية فيهم مســلمون وبوذيون ويهود وملاحدة، وفي وادي السليكون وحده يوجد ٧٠٠ عالم مسلم.

فالبحث العلمي الحديث والتقنية والمخترعات هذه أشـياء محايدة لأنها من ســنن الله الكونية، فالبحث العلمي قرين بمن يجتهد ويدفع أكثر ... بمن يُموّل ... هذه هي كل القضية .

خذ مثالًا: جامعة "هارفارد" بأمريكا تنفق على البحث العلمي سـنويًا ما يزيد على أربعين مليار دولار، وبها أربعون عالمًا حاصـلًا على جائزة نوبل، وميزانيـة البحـث العلمي بها تفوق ميزانيـة البحـث العلمي في جميع الـدول العربية مجتمعة!!

ومن له خبرة باللغة ودلالة هذه الصيغ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا ..﴾ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا .. ﴾ يعلم تماما أهمية الإشـارات القرآنية إلى اكتشـاف السـنن الكونية التي نبه إليها القرآن وأثرها في العمران البشـري، ولكن للأسف الشديد لقد غفل كثير من المسـلمين عن النظر في هـذين النوعين من القوانين: قوانين الكون الطبيعي، وقوانين الكون الاجتماعي أو تغافلوا عنهما أو أريد لهم وبهم أن ينصرـفوا عن ذلك؛ فكان واقعهم المتردي علميًا هو النتيجة الطبيعية لهذه الغفلة.

ولو أنفقت البلدان الإسلامية على البحث العلمي عُشـر ما تنفق أمريكا على البحث العلمي لصار للبحث العلمي عندنا وضع آخر.

ولكن مع هذا كله لا ينبغي أن يغيب عنا أن أوربا إنما اسـتفادت مناهج العلوم التجريبية من حضـارة المسـلمين، وذلك أنهم ترجموا كتب المسـلمين العلمية واستفادوا منها، فكانت النتيجة هذه التقنية التي نراها اليوم.

إن الصيدلة علم عربي، والفلك والطب والميكانيكا والرياضيات والطبيعة والجغرافيا ما تزال تحمل الأسماء العربية الفصحى.

الوجه الحادي عشر: أن هذه الحجة الداحضة هي نفسها حجة الأمم السابقة ممن كفر بالله وكذب الرسل، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا . وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾ [مريم: ٧٣،٧٤]، فبيّن الله عن الكافرين أنهم إذا تُليت عليهم آيات الله التي فيها الحجج والبراهين نكصوا واحتجّوا بأنهم أرقى ماديًا من المؤمنين، فردّ الله عليهم وأبطل حجتهم بأن بيّن أنه قد أهلك قبلهم كثيرًا من القرون الذين كانوا أرقى منهم ماديًا؛ فدلّ ذلك على أن هذه الحجة باطلة لا قيمة لها في ميزان الحق.

فالتقدّم المادي والتأخر المادي لا علاقة لهما بمن يكون معه الحق أو الباطل، وإنما العبرة بالإيمان بالله والتمسّك بدينه.

ومما يدلّ على ذلك أن كثيرًا من علماء المسلمين (علماء العلوم الحديثة) سافروا إلى الغرب وصاروا عباقرة في العلوم الحديثة، فهذا يبيّن أن الكفار لم يتقدّموا ماديًا بسبب كفرهم، وأن المسلمين لم يتأخروا ماديًا بسبب إيمانهم،

وإنما ذلك راجع إلى سنن الله الكونية كما تقدّم، فمن بذل الأسباب ظهرت له النتائج ومن لم يبذل لم يظهر له شيء.

ولكن مع هذا كله لا يزال حال الأمة الإسلامية عمومًا متماسكًا لأنها آمنت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا، فهي الرّاقية حقيقة العالية بإيمانها، بخلاف الأمم الكافرة الجاحدة فإنها تعاني من تصدّع شامل وانهيار نفسي وخواء روحي وتمزّق اجتماعي، ولهذا قال الله تعالى مسلّيًا عباده المؤمنين: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

الوجه الثاني عشر: أنه ليس كل ما يقال إنه من العلوم الحديثة، يكون صحيحًا، فهناك أفكار باطلة ونظريات فاسدة يعزوها الملاحدة والعلمانيون إلى العلوم الحديثة، وهي ليست من العلوم الحديثة في شيء، وهذه قضية مهمة ينبغي التنبّه لها، وهي [أن ما يسمّى في هذا العصر بالعلوم الحديثة قد اختلط فيها الحق بالباطل فلا بد من التفريق بين العلم الصحيح النافع والنظريات والأفكار الإلحادية والمنحرفة الضارة].

ولذلك ينبغي لروّاد العلوم الحديثة من المســلمين أن يميّزوا بين العلوم الحديثة الصــحيحة والعلوم المزيّفة التي أحدثها بعض الغربيين الملاحدة كنظرية داروين ونظرية فرويد ونظرية ماركس ونحو ذلك.

ومما يدلّ على ذلك دلالة واضحة مكشوفة ما أثبته اليهود في نشرة من النشرات الدورية التي توزعها على اليهود جمعية (القبالا) اليهودية، وقد جاء في هذه النشرة ما يلي:

(وفي الوقت نفســه تكون أجهزتنا الأخرى قد توصــلت إلى تعميم المبادئ والأفكار الداعية إلى الإلحاد وإفساد الأخلاق...وثقوا أننا خطونا في تحقيق هذه المناهج خطوات واسـعة وبخاصــة بعد أن فزنا بثقة الكفرة في الميادين العلمية بفضل العلماء أمثال "سـجمند فرويد" و"البرت ينتاشـين" و"جوناس ســالك" الذين أوجدناهم، وهم يُعتبرون اليوم آلهة العلم والعبقرية، لأنها تجهل حقيقتهم، أما نحن فنعرف كيف أوجدناهم ولماذا أوجدناهم، لأننا قدرنا أن بإمكانهم التأثير عن طريق العلم على معتقدات الشـعوب وإضـعافها...ومن خلال النتائج التي انتهينا إليها أيقنّا أن نجاحنا

في هذا المضمار كان واسعًا...ومن هنا انزلقوا في متيهات الكفر والإلحاد، وانهارت معتقداتهم وأخلاقهم)[١].

ومن أشهر الانحرافات بالعلم عن طريق التزوير لخدمة النظريات الإلحادية:

تزوير صور الأجنة:

قام العالم البيولوجي الألماني "أرنست هوجل" أستاذ علم التشريح المقارن-برسم صور لأجنّة مجموعة من الحيوانات بشكل متشابه حتى يستخلص نتيجته أن أصول الكائنات الحية واحدة، وأنه قد تطوّر بعضها من بعض، ففي عام ١٨٧٤م أصدر رسوماته، واشتهرت في ذلك الوقت، وبقي الملاحدة الداروينيين ينشرون تلك الصور زمنًا طويلًا، وفي ١٤ ديسمبر

(١) (الإسلام وبنو إسرائيل) للجنرال جواد رفعت آتلخان، فقد نشر فيه هذه النشرة اليهودية وبيّن أن بعض معارفه الأمريكيين المخلصين لبلادهم قد أرسلوا له بعض نشرات جمعية "القبالا" اليهودية ومنها هذه النشرة، وهذه النشرة موجودة أيضًا في كتاب(مكائد اليهود عبر التاريخ، د. عبد الرحمن حبنّكة ص٤٣٧)

١٩٠٨م اعترف رسـميًا في مقالته المعنونة بـــ "تزوير صـور الأجنة"، اعترف رسميًا بتزوير صور الأجنة التي دلّس بها لأجل نظرية داروين، فقال:

(إنني أعترف رسـميًا-حسـمًا للجدال في هذه المسـألة-أن عددًا من صـور الأجنة موضوع أو مزوّر)

ثم اعترف اعترافًا خطيرًا فقال: (بعد هذا الاعتراف بالتزوير فيجب أن أحسـب نفسي مقضـيًا عليّ وهالكًا، لو لم يكن يعزّيني رؤية بجانبي مئات من شركائي في الجريمة في قفص الاتهام، وبينهم عدد كبير من الباحثين الموثوق بهم والبيولوجيين المرموقين، فإن الغـالبيـة العظمى من جميع الرســوم التوضـيحية في أفضـل الكتب المدرسـية البيولوجية والأطروحات والمجلات بها نفس تهمة التزوير، فجميعها غير دقيق، وقد تم بنســبة كبيرة أو صــغيرة تلفيقها وترتيبها وتركيبها)[1].

وإلى يومنا هذا لا يزال الملحد العربي يستخدم تلك الصور بمنتهى الغباء على الرغم من مرور أكثر من قرن على اعتراف صاحبها-رسميًا-بأنه زوّرها !!

---

[1] (التطوّر نظرية تاريخية وعلمية ص٥٦-٥٧)، و(عيادة الملحدين، د. هيثم طلعت ص٢٤٥)، و(دعوى تعارض السنة النبوية مع العلم التجريبي، د.راشد الهاجري ١/ ١٢٧،١٢٨)

الأحافير: أحفورة "جاوا"، و"إنسان بلتادون" وغيرها:

أعلن الطبيب الهولندي "يوجين ديبوا" أنه اكتشف في جزيرة "جاوا" في "اندونيسيا" عن الحلقة المفقودة بين الأنسان والقرد-وفق اعتقاد نظرية التطوّر الإلحادية-، واستمرّت هذه الكذبة (٤٠) سنة حتى اعترف الطبيب الهولندي في عام ١٩٣٢م أنها ملفّقة ومرمّمة من جمجمة إنسان معاصر مع "قرد جابون".

والأحافير التي تمّ إثبات تزويرها كثيرة جدًا، منها:

-(إنسان بلتداون): ففي عام ١٩١٢م أعلن أحد علماء الحفريات اكتشافه لعظمة فك وجزء من جمجمة، وكانت عظمة الفك أشبه بفكّ القرد بينما كانت الأسنان والجمجمة أشبه بأسنان وجمجمة الإنسان، وسميت هذه العينة بـــ "إنسان بلتادون" نسبة إلى المكان الذي اكتُشفت فيه، وزعم أن عمرها خمسمئة ألف سنة، فأخذت شعبية كبيرة، وعُرضت في العديد من المتاحف بوصفها دليلًا قاطعًا على تطوّر الإنسان، ولأكثر من أربعين سنة كُتب الكثير من المقالات العلمية عن "إنسان بلتداون"، وقُدّمت الحفرية بوصفها دليلًا مهمًا على تطور الإنسان، وكُتب قرابة خمسمئة رسالة دكتوراه حول الموضوع"، ولقيت العينة اهتمامًا كبيرًا.

ثم تتابع البحث حولها، وفي سنة (١٩٥٣ م) تم الكشف للجمهور عن هذا التزوير، وأنها حفرية تمّ تزويرها على يد دارويني ماكر؛ إذ كانت الجمجمة تخص إنسانًا مات منذ زمن، في حين كانت عظمة الفك السفلى تخص قردًا مات مؤخرًا! وقد تم ترتيب الأسنان على نحو خاص في شكل صف، ثم أُضيفت إلى الفك وتم حشو المفاصل لكي يبدو الفك شبيهًا بفك الإنسان، وبعد ذلك تم تلطيخ كل هذه القطع بثاني كرومات البوتاسيوم لإكسابها مظهرًا عتيقًا، ثم بدأت هذه اللطخ بالاختفاء عند غمسها في الحمض"، وقد كان أحد أعضاء فريق كشف هذا التزييف يستغرب أن عملية التزييف كانت "واضحة جدًا لدرجة تجعل المرء يتساءل: كيف لم يتم الانتباه إليها من قبل؟! " وكأنهم تعاموا عنها، وفي أعقاب هذه الفضيحة تمّ إخراج العينة من المتحف البريطاني بعدما عرضت لمدّة تزيد على أربعين سنة.

وهكذا وقع من الداروينيين تزوير ما سمّي بـ (إنسان نبراسكا)، و(إنسان أورك)، وغيرها.

إن هـذه الأمثلـة عن الانحراف بـالعلم لهـا دلالاتهـا العميقـة، فهي تُظهر كيف يتعامى تيار عريض عن عملية التحقق، وتُظهر كيف انصـرف أعضاؤه مباشرة إلى استغلال أشياء مزوّرة واستثمارها في إثبات نظرية إلحادية باطلة[١].

من أجل ذلك كان لزامًا على روّاد العلوم الحديثة وطلّابها أن يتنبّهوا لهذه القضية المهمّة، وأن يحذروا غاية الحذر من التزوير والإلحاد والانحراف الذي دسّه الأعداء وأدخلوه في العلوم الحديثة زورًا وظلمًا وعدوانًا، وهو في الحقيقة مخالف للعلوم الحديثة، وإنما أراد أعداء الإسـلام بذلك ترويج باطلهم باسـم العلم الحديث، وهذه جناية عظيمة في حق العلم وروّاده وطلّابه.

وبهذا تظهر عظمة الإســلام الذي يدعو إلى تنقية العلوم وأخذ الصــحيح النافع، وإبعاد الباطل المزيّف الضارّ. والحمد لله تعالى.

---

(١) (التطوّر نظرية تاريخية وعلمية ص٦٦-٦٧)، و(عيادة الملحدين، د. هيثم طلعت ص٢٤٥)، و(دعوى تعارض السنة النبوية مع العلم التجريبي، د.راشد الهاجري ١/ ١٢٨)، و(خديعة التطور، هارون يحيى ص ٣٦ – ٤٦)، (النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها، د.حسن الأسمري ١/ ٣٠٦،٣٠٧)

الوجه الثالث عشـــــــر: أن الملاحدة واليهود والنصارى والعلمانيين والاستعمار الغربي، كل هؤلاء قد انحرفوا بالعلم، ومن أخطر ما أسهموا به تعميق مشكلة علمنة العلوم العصرية، وتحويلها لأداة في مشروعاتهم الفكرية، وأخطر تلك المشروعات هدم الدين أو إقصاؤه وإهمال العناية به، وزاد من السوء قلة من يدير وضع العلم العصري، وقد يسر لهم ذلك إمكانية التوجيه والتأثير.

فعلينا معاشر المسلمين ألا نقبل كل ما يقوله الغرب وخصوصًا الملاحدة والعلمانيون منهم، وألا نكون أتباعًا لهم في الانحراف بالعلم إلى الوجهة التي تخدم الغرب وتحارب الإسلام وتضرّ المسلمين في دينهم ودنياهم، وإنما الواجب علينا أن نأخذ الصحيح النافع من العلوم الحديثة ونسيّره في مساره الصحيح الذي تصلح به أحوال المسلمين في جميع المجالات، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]

الوجه الرابع عشـــر: أن التأخر التقني والتكنولوجي الذي يعاني منه المسلمون في هذا العصر ليس سببه الإسلام؛ فقد تقدّم فيما مضى أن الإسلام دين العلم والمعرفة، وإنما سببه الأكبر وجود أشخاص يعيشون مع المسلمين

بأبدانهم ومع الأعداء بقلوبهم وأفكارهم، ويسعون جاهدين في مصادمة حقائق الإسلام وثوابته وعقائده وشرائعه بتلك الأفكار المسمومة والنظريات الفاسدة الهدّامة كنظريات داروين وفرويد وماركس وغيرهم، ولهذا تجد هؤلاء العلمانيين والملاحدة قد دخلوا في معركة مع الإسلام، وأفسدوا في المسلمين من الداخل.

لقد انتقلت المعركة بين الكنيسة والعلم من الغرب إلى العالم الإسلامي على أيدي المستشرقين وتلامذتهم، انتقلت المعركة على أنها صراع بين الدين والعلم، واستُعملت كلمة الدين هنا بالمعنى المطلق واختفت كلمة الكنيسة تماما واستعمل مكانها لفظ الدين بالمعنى العام، ثم استعملت كلمة الإسلام بدلا من الدين في مرحلة تالية لتصبح المعركة بين الإسلام والعلم بدلا من أن تكون بين الكنيسة والعلم كما هو معروف تاريخيا، وتوالت الكتابات لتؤسس هذه العلاقة التناقضية بين الإسلام والعلم وتولى إثم هذه الفرية مجموعة من العلمانيين العرب في مصر ولبنان والمغرب وتونس وكلهم ممن تأثر بالمستشرقين فتغذى منهم بهذه الأفكار المسمومة ولم يحاولوا أن يفرقوا في موقفهم العلماني بين الإسلام والكنيسة من جانب ولا بين علماء الإسلام ورجال الكنيسة من جانب آخر، وإنما تبنّوا هذه الفرية الظالمة وعملوا على

إذاعتها في أجهزة الإعلام والندوات والمؤتمرات ليخرج جيل جديد من المشتغلين بالثقافة في العالم العربي فيتبنى هذه القضية وكأنها إحدى مسلمات العصر التي لا تقبل نقاشا ولا حوارا، فإما العلم وإما الدين، وحمّلوا الإسلام أوزار المسلمين فجعلوه سببا للتخلف والركود الذي أصاب المسلمين.

بدايات دخول الأفكار والنظريات الإلحادية إلى البلاد الإسلامية:

لقد مرّ العالم الإسلامي في القرن (الثالث عشر هجري/ التاسع عشر ميلادي)بتحولات خطيرة، وقد برزت أوضاع كثيرة منها التوجه الاستعماري الأوروبي وما صحب ذلك من أدوات استخدمها الغرب لتحقيق توجهه، وأخطر ما قابل ذلك بروز فئة نصرانية علمانية -بناها الغرب ثم الاستعمار- تبنت بعض المذاهب الغريبة الشاذة ووظفتها في تدمير الدين أو إقصائه عن الحياة، وأشهر تلك الفئات مجموعة اعتنقت الداروينية في أقبح صورها، وروّجت لأسوأ ما فيها، مدعية بشكل قطعي أن هذه حقائق علمية ستكون بديلًا عن الدين.

كان هذا الحدث في الربع الأخير من القرن التاسع عشر في وقت لا يوجد تيارات كبرى تتبنى الدعوة لها، أو أحزاب سياسية تجعل ذلك من ضمن

أنشــطتها، كما لا يوجد مجتمع قابل لمثل هذه الآراء يســتطيعون الحركة فيه بيســـــر وسهولة، بل لا يتصور أحد إمكانية حركتهم في المجتمع الإسلامي بمثل تلك الأفكار، إلا أنهم مع ذلك نجحوا في إثارة الجدل ونشــر أفكارهم وإشغال الفكر لأكثر من نصف قرن عبر ما اصطلح عليه آنذاك بـــ "النشوء والارتقاء"، فكيف حدث ذلك؟

التنظيمات الوحيدة التي لها نشاط في القرن الثالث عشر هجري/ التاسع عشر ميلادي هي " المحافل الماســونية"، فكانت إلى حدٍ ما الميدان الوحيد لاستقطاب أصحاب الأفكار الشاذة ودعمهم آنذاك، ومع ذلك فنشاطهم محدود بالنخب من قادة سياسيين أو اقتصاديين أو عسكريين، وهي دائرة مغلقة لا تتصل بالمجتمع، إلا أن هناك منفَذَين مهمين ظهرا في تلك المرحلة، هما: "المدارس العصـــــرية" التي أنيط بها تحقيق المعرفة بالعلوم العصرية المهمة، و"الصحافة". فانخرط هؤلاء المتأثرون بالمذاهب الغربية الشاذة في المدارس العصرية لمعرفتهم بلغة أجنبية وتحصيلهم بعض المعارف العصرية، إلا أن نطاقها محدود في طلاب المدارس رغم أهميتهم، لهذا جاء العمل الفعلي عبر الصحافة، حيث كانت الصحف الأبرز آنذاك تحت إدارة مجموعة من النصارى العرب، ولم تكن الصحافة في تلك المرحلة صحافة أخبار بقدر ما

كانت صحافة أفكار، وكانت الأفكار الجديدة التي فتحت لها صفحاتها هي أفكار المتأثرين بمذاهب غربية وعلى رأسها الدارونية. وإذا كانت صحافة أفكار فإن الفكرة التي طغت على تلك الصحافة هي "الدارونية -التطورية- النشوئية" في المقام الأول وكل ما له ارتباط بها.

برزت أسماء تبنت الدارونية أهمها "شبلي شميل، وسلامة موسى" مع آخرين مثل "فرح أنطون"، "جورجي زيدان"، "إسماعيل مظهر"، وغيرهم، وكان ميدانهم الفعلي للحركة هو الصحافة لعدم إمكانية ذلك في مواقع أخرى، ولا مجال للبحث عن سبب جرأتهم في عرض هذه الأفكار الشاذة واستئثارهم بالصحافة البارزة في تلك المرحلة؛ لأن السبب واضح في الحماية التي حصلوا عليها من قبل البلاد الغربية مما جعلهم في ظل الامتيازات الممنوحة لهم يتحركون ضد دين الأمة ومصالح المجتمع المسلم بما يتوافق مع مصالح الغرب، فكان منهم من تحرك على صعيد العمل الميداني؛ ومنهم من تحرك على صعيد النشاط الفكري الهدام، وأبرزهم دعاة الدارونية.

فتحت مجلة "المقتطف" صفحاتها لـ "شبلي شميل" فضلًا عن إصداره لمجلة "الشفاء" وكتابته في صحف ومجلات لبنانية ومصرية كثيرة.

أما "سـلامة موسـى" فبعد عودته من أوروبا سـنة (١٩١٣ م) احترف الصحافة "باعتبارها الوسيلة المثلى التي يستطيع من خلالها التأثير في محيطه"، ثم أصدر مجلته الأسبوعية "المستقبل"، ثم في سنة ١٩٢٠ يسهم في إنشاء أول حزب اشتراكي مصري، حيث يتحول عمل هؤلاء من "المحافل الماسونية" إلى أحزاب سياسية مصرح بها من قبل إدارة المستعمر، ثم يتولى لمدة سبع سنوات رئاسة تحرير مجلة "الهلال" المشهورة، ثم يتحول لإنشاء مجلته "المجلة الجديدة" من (١٩٢٩ - ١٩٤٢ م)، لحوالي أربع عشرة سنة.

وقد نشأ تيار فكري نصـراني الأصل ماركسـي المذهب يتبنى "نظرية داروين" داخل مصـر، وحظي بدعم وحماية من المستعمر، ومن أبرز المنتمين لهذا التيار "شبلي شميل" و"سلامة موسى"، نشـر "شبلي شميل" مقالاته في المقتطف، وألف كتابه "فلسفة النشوء والارتقاء"، ثم "كتاب شرح بخنر على مذهب دارون"، كما أنه أصدر مجلة الشفاء فضلًا عن كتابته في صحافة مصر ولبنان آنذاك. أما "سـلامة موسـى" الذي انتصر لهذه النظرية ومذهبها فقد ألّف فيها "نظرية التطور وأصل الإنسان" سنة (١٩٢٨ م)، وفي السنة التالية أصدر مجلته "المجلة الجديدة" التي بقيت حوالي أربع عشرة سنة، فضلًا عن نشاطه الصحفي والفكري، ولا شك أن بقاءها في هذا الإطار النصـراني

الماركسي- جعلها تفقد كل صلة لها بالعلم و تحولت معهم إلى أداة لمحاربة الإسلام.

ويأتي في موقف أخف منهما في الداروينية موقف فرح أنطون صاحب مجلة "الجامعة" و"جورجي زيدان" صاحب مجلة "الهلال" و"إسماعيل مظهر" صاحب مجلة "العصور"، و"إبراهيم حداد" صاحب مجلة "الدهور" ، حيث نلحظ أن الجميع جعل منفذه نحو نشر- الداروينية أو الفكر المرتبط بتطورات أوروبا هو الصحافة الفكرية.

أصبح المصطلح المعبر به عن مذهبهم هو "مذهب النشوء والارتقاء"، حيث تواضعوا على إطلاقه مُعبّرًا عن مجمل أفكارهم المقتبسة من العلوم الطبيعية والكيميائية والاقتصادية والتاريخية المعروفة في أوروبا القرن الثالث عشر/ التاسع عشر، ولاسيّما "داروين"، "والاس"، "ليل"، "سبنسر"، و"هيكل" الذي جاهر بالنتائج الفلسفية الإلحادية المترتبة على اكتشاف "داروين"، و"بخنر" وغيرهم، وأصبحت "الدارونية" أشبه بالإطار المفاهيمي المرجعي لإنتاجهم الفكري.

لقد جعل هؤلاء الدارونيون العرب من الدارونية أداة للقول بالإلحاد ونبذ الدين، فلم يتوقف الدارونيون المتغربون عند إنكار الدين، بل تجاوزوا

ذلك إلى إعلان الإلحاد، وتكون المفارقة العجيبة، حيث كان العالم الإسلامي يبحث عن علوم تجعله قويًا بإسلامه، فإذا هو -عبر الدارونيين- يلتقي بالعلم وبدعاته في وجه إلحادي، فظهرت الدعوة إلى الإلحاد باسم العلم ذاته، فهذا "شبلي شميل"يعتبر "العلم" هو المطلق "والإله الوحيد" عنده، ويرفض أي توفيق بين العلم والدين لاعتقاده بالتناقض المطلق بينهما، مستندًا في ذلك "إلى معطيات التطورية الدارونية والأفكار العلمية الأوروبية". وأنكر وجود الرب، فالمادة عنده هي المكون لكل شيء، وهي أبدية أزلية، ومنها نشأت الكائنات، ولا حاجة عنده إلى الاعتقاد بوجود الرب في عصر العلم كما يرى، وأطلق على هذا الإلحاد مصطلح "الإلحاد العلمي" في انتساب للعلم[١]، أما "سلامة موسى" فقد وجد في أحد المتأثرين بداروين "نيتشه" أداةً مناسبةً في إعلان إلحاده[٢]، فضلًا عن طائفة أخرى ذكرهم في كتابه: "هؤلاء علموني"، وقال في مقدمته المشهورة لكتابه "اليوم والغد": (يجب علينا أن نخرج من آسيا وأن نلتحق بأوروبا؛ فإني كلما زادت معرفتي بالشرق، زادت كراهيتي

---

(١) انظر: الموسوعة الفلسفية العربية (٢/ ١٧٨) (٢/ ٥٦٢)

(٢) انظر: سلامة موسى بين النهضة والتطور، د. مجدي عبد الحافظ ص ٧٨، ١١٥، وانظر: سلامة موسى وأزمة الضمير العربي ص ٦٤، ٨٩، ١١٣

له، وشــعوري بأنّه غريب عني؛ وكلما زادت معرفتي بأوروبا، زاد حبي لها، وتعلقي بها، وزاد شــعوري بأنها مني وأني منها، وأريد من التعليم أن يكون تعليمًا أوروبيًا لا ســلطان للدين عليه ولا دخول له فيه) ثم قال: (فأنا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب)[١]

تُشكل مجموعة الأعمال السابقة صورة واضحة لأبشع صور الانحراف التغريبية الحديثة، فتَحْتَ مسمى العلم ونظـــرياته أُدخلت أفكار ومناهج ودعوات للإطاحة بالدين، وصــوّروا العلم وكأنه عدو للدين، بل كأن هدفه الحقيقي هو إزالته، مما يجعلنا أمام تيار يناقض تمامًا رســالة الأمة إلى العالم، رســالتها في إقامة الإســلام ونشره، بينما هذا التيار على العكس يحمل رســالة هدم هذا الإسلام[٢].

---

(١) اليوم والغد، سلامة موسى ص ٥-٧)

(٢) انتقيت هذا المبحث من كتاب (النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية، د.حسن الأسمري (١/ ٥٢٠) (٢/ ٨٢٦،١٣٠٧،١٣١٦،١٣١٧)

توضيح:

نظرية داروين: قال د. صالح السندي في كتابه" الإلحاد وخطره وسبل مواجهته ص٢٩" ما يلي: هي نظرية وضعها داروين في كتابه "أصل الأنواع"، وتقوم على أساس أن الأحياء لم يُخلق كل واحد منها خلقًا مستقلًا، بل كان لها أصل واحد هو الخلية البسيطة، ثم أخذت تتطور من طور إلى طور حتى نشأ الإنسان وبقية الكائنات، والطبيعة في ذلك كانت تختار الأصلح للبقاء، وهذا ما عبّر عنه بمصطلح "الانتخاب الطبيعي" أو "البقاء للأصلح".

وكتاب داروين "أصل الأنواع" أصبح اللبنة الأساسية لنظرية التطور الإلحادية، وتجمع مدرسة "داروين" في ثناياها كبار ملاحدة العالم الذين يرون أن الإنسان لا خالق له، وأنه وليد ملايين السنين من التطور الطبيعي والنشوء والارتقاء بين الأنواع المختلفة.

وتنطلق هذه النظرية من وجود تشابه بين الأحياء ولذا قرر "داروين" أن أصل الإنسان قرد" انتهى.

وقد بيّن علماء الإسلام كفر وبطلان هذه النظرية وردوا عليها في كتب الرد على الإلحاد، بل إن بعض أتباعها تراجعوا عنها وصرحوا ببطلانها.

ومن هنا وجب علينا أن نوضح موقف الإسلام من العلم والمعرفة؛ ليعرف الخاصة والعامة ما في دعاوى هؤلاء من تضليل وأكاذيب.

إن هؤلاء التغريبيين العلمانيين قد اتخذوا من عبارات الإصلاح والرقي قناعًا يستترون به في طعنهم ومحاربتهم للإسلام، ومما يدل على ذلك أن بعض من يتبنى بعض صور العلمانية وهو قريب من الفكر العلماني يصرح بأن هدف العلمانيين العرب هو هدم الإِسلام، فيقول: (وقد ادعى كثير من العلمانيين اليوم حق التلاعب بالإِسلام مستترين بقناع الإصلاح والرقي في حين أنهم يتمنون خراب الإِسلام)[١]. وينطبق على هؤلاء قول الله تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ .أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١١-١٣].

ومما يدعو إلى الأسى حقا أن أصحاب هذه الآراء يظهرون في الإعلام المسموع والمقروء والمرئي على أنهم رواد حركة التنوير وحملة المشاعل ورموز التقدم.

---

(١) الشخصية العربية الإِسلامية والمصير العربي، د. هشام جعيط ص ١١٢.

إن القضية جد خطيرة، وتنذر سحائبها بما هو أخطر خاصة في هذه المرحلة التاريخية التي يعيش فيها المسلمون؛ فعلى جميع المصلحين بكافة شرائحهم أن يبيّنوا للمسلمين حقيقة هذه القضية فإن هذه هي الخطوة الأولى في إصلاح الأمة والسعي في رقيّها وتطوّرها.

إن العلمانيين والملاحدة العرب الطاعنين في الإسلام بأنه دين التخلّف- وهذا بهتان عظيم قد تقدم بيانه وكشفه- إن هؤلاء في الواقع لم يقدّموا للأمة صناعة أو تقنية أو شيئًا مفيدًا، وإنما صنعوا الفتن ونفثوا السموم وزرعوا الضلالة، وظاهروا الأعداء، وكلّما أرادت الأمة أن تنهض وقفوا مع أعدائها ضد نهضتها ورقيّها. وشرح هذه الأمور يطول، والواقع شاهد بهذه الأمور الفظيعة. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

جاء في كتاب "العلمانية وموقف الإسلام منها" ما نصّه: (والعلمانيون في العالم الإسلامي يُعرَفون بالاستهانة بالدين، والتهكم والاستهزاء بالمتمسكين به، كما يعرفون بإثارة الشبهات، وإشاعة الفواحش (كالسكر، والتبرج، والاختلاط المحرم) ونشر الرذائل، ومحاربة الحدود الشرعية

والحشـمة والفضـيلة، ، والاسـتهانة بالسـنن، كما يُعرفون أيضـاً بحب الفسـاق والكفار والإعجاب بمظاهر الحياة الغربية وتقليدها)(١).

ونختم هذا الوجه بحقيقة مهمّة وهي [أن المســلمين رغم ما يعانونه فهم يعيشون حياة أهنأ وأقوى وأسعد من حياة الغرب الذين غرقوا في أمواج الإلحاد والشقاء والحيرة والاضطراب].

يقول "محمد أسـعد" كان يهوديّاً ثم اعتنق الإسـلام : (صـحيح هناك تدهور في حال المسـلمين.. ولكني أصـارحك القول بأن التدهور في حال أصـحاب الأديان الأخرى أكثر مما هو في المسـلمين ... إن الإسـلام ما زال قادراً على العطاء.. عطاء كل ما يُخَلّص الإنسـان من شـقاء الحياة وآلامها ومتاعبها.. إن الإسلام يجدد الصلة بين المرء وربه التي قطعها إنسان اليوم. حتى ولو كان المسـلمون في حالة تدهور، فإن دينهم قادر على منحهم الحياة السـعيدة المطمئنة التي تعينهم على التغلب على تلك الأزمات الأخلاقية التي يعيشها الغرب)(٢).

---

(١) العلمانية وموقف الإسلام منها (ص: ٣٩٣)

(٢) رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا (ص: ٢٣١)

فالإسلام دين السعادة مهما كانت الظروف، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ هي السعادة.

وهذه السعادة التي فقدها الغرب الجاحد، لا تُصنع في المصانع، ولا تباع في جملة البضائع، وإنما ينالها المسلمون بعبادتهم لله وخضوعهم له وتمسّكهم بدينه سبحانه وتعالى.

وقد أطلنا الكلام فيما يتعلّق بالعلمانيين والملاحدة العرب، ذلك لأنهم حاملو لواء تلك الفرية وهي "أن العلم يتعارض مع الدين وأن الإسلام دين تخلّف ورجعية"، فكانوا بذلك أهلًا للذمّ والقدح والطعن. والله المستعان.

المراجع

من أهم المراجع التي استفدت منها -بحمد الله- في كتابة هذه الرسالة:

١-(النظريات الفكرية الحديثة مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي) د. حسن الأسمري (وهو من أنفس الكتب في هذا المجال)[١].

٢-(الوحي والإنسان - قراءة معرفية) محمد السيد الجليند (وهو كتاب نفيس في هذا المجال)[٢].

٣-(أسس النهضة الراشدة) أحمد القصص

٤-(كيف تدعو ملحدًا) د. هيثم طلعت

٥-(موسوعة الرد على ملاحدة العرب) د. هيثم طلعت

٦-(ربحت محمد ولم أخسر المسيح) د. عبد المعطي الدالاتي

٧-(رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا) عبد الرحمن بن محمود

٨-(الله يتجلى في عصر العلم) تأليف: نخبة من العلماء البارزين في العلوم الحديثة .

---

(١) وهو موجود في المكتبة الشاملة ومرفق معه نسخة بي دي إف لمن أراد طباعته، وأنصح باقتنائه لنفاسته وشموله في بابه

(٢) وهو موجود في الشاملة أيضًا